الفصل الثانى
الفلوكلور المصرى فى مجال الأزياء عبر الحضارات وتأثيره على الأزياء الشعبية

المصطلحات الملبسية :

- الزى :

تعنى كلمة زى اللباس اوالهيئة أو المنظر وجمعها – أزياء "وقيل أقبل بزى العرب" .

- الملبس :

كل ما يرتدى ويغطى الجسم من ملابس داخلية أو خارجية وهناك أكثر من نظرية تتصل بنشأة اللباس بعضها يربط بين اللباس والأخلاق بمعنى الخجل من العرى وبعضها يرد فكرة ارتداء الملابس إلى أغراض طبيعية هى حماية الجسم من تأثير الجو وبعضها يربط بين نشأة اللباس بفكرة السحر ويرى أن تغطية الجسم تهدف إلى اتقاء العين الشريرة وبعض الشعوب لا تعرف من اللباس أو ما يدخل فى مجاله سوى التمائم التى تعلق فى العنق أو توضع فى الشفة والأنف وليس من شك فى أن هذه المعتقدات قد أثرت فى بعض المناطق على تطوير الملابس ولكن ليس من الضرورى أن تكون هذه التأثيرات أساساً لنشأة اللباس كما أنه إحدى الوسائل البدائية لإبراز الجاذبية ويعتقد أن أصولها ترجع أساسا إلى الدوافع "الجنسية" الغزلية.

- أردية الخروج :

المقصود بها ما ترتديه المرأة من ملابس عند الخروج من منزلها.

- الزى التقليدى:

زى مجهول البداية، تحولات بطيئة وليست فجائية، يتوارث جيلا بعد جيل، ويستمر مع تواصل الأجيال، ولكل شعب من الشعوب زى معين يحافظ عليه ويكون تجسيدا لشخصيته القومية متأثرا بالعوامل الدينية والبيئية، يحمل معتقدا وطابعا زخرفياً فى شكل رموز هندسية أو نباتية أو حيوانية، هذه العوامل مجتمعة أسهمت فى تحديد شكل ونمط وخصائص الزى الشعبى أو التقليدى للنساء. كما أن الأزياء التقليدية تعكس فى كثير من مسمياتها أثرًا من تاريخ البلد التى تنشأ فيه. كما أن هناك علاقة بين الأزياء التقليدية والأزياء التاريخية حيث نصادف أصداء لهذه الأنماط والطرز فى الأزياء التقليدية التى يتكيف فيها الطابع الفنى مع خامات قليلة التكلفة.

وهناك علاقة أيضا بين الأزياء التقليدية والأزياء الفاخرة حيث أن هناك رباطاً قوياً يربط بين طابع الأزياء التقليدية والأزياء الفاخرة وكثيرا ما نرى فى المراجع القديمة عن أوصاف بعض الملابس الفاخرة التى تصادف أصداء لهذه الأنماط والطرز فى الأزياء التقليدية يتكيف فيها أيضا الطابع الفنى مع خامات قليلة التكلفة.

الفولكلور المصرى فى مجال الأزياء عبر الحضارات وتأثيره على الأزياء الشعبية

مقدمة :

مرت مصر بحضارات متعاقبة كان نتاجها الحضارة الفرعونية القديمة، الحضارة اليونانية الرومانية، الحضارة القبطية ثم الحضارة الإسلامية. وهى حضارات موصولة الأطراف مع بعضها البعض بخبرة إنسانية كبرى بدأت بالعصر الحجرى وتطورت خلال العصور القديمة بسعيها فى التعامل مع العالم الخارجي، ثم الحضارة القبطية باتجاهها إلى العكوف على العالم الداخلى للإنسان، ثم إلى الحضارة الإسلامية ببحثها فى الخارج والداخل بجوهر العقيدة الإسلامية التى وجهها القرآن الكريم والسنة.

ومنذ الأزل وهناك صلة وثيقة بين الإنسان وحضارته ، حيث لا يوجد إنسان بلا حضارة ، ولا حضارة بلا إنسان ، كذلك لا يوجد مجتمع بلا فولكلور ولا فولكلور بلا مجتمع.

ولقد تميزت الأزياء المصرية عبر العصور المختلفة التى مرت بها مصر بخصائص ومميزات متعددة. وقد جاء هذا التميز معبراً عما تحمله هذه الأزياء من عناصر نابعة من البيئة المصرية ومن الشعب المصرى الذى يزخر بالكثير من العادات والتقاليد والمعتقدات التى تنعكس بطبعتها على الأزياء بوجه عام ، وعلى الفنون والزخارف بوجه خاص. وهذا التميز الذى تنفرد به الأزياء المصرية له علاقة وثيقة بالتسلسل التاريخى للفولكلور المصرى.

ويعتبر الاتجاه التاريخى أقدم الاتجاهات لدراسة الفولكلور وهو يقوم على محاولة الكشف عن أصول التراث الشعبى بمراحله التاريخية المختلفة، وذلك باعتبار أن الفولكلور علم تاريخى ، يهدف إلى استكمال الصورة الثقافية والحضارية لماضى شعب من الشعوب، ويهدف الاتجاه التاريخى فى دراسة التراث الشعبى إلى الكشف عن المنشأ التاريخى لمختلف التراث الشعبى وصولاً إلى فهم التطور الذى طرأ على كل عنصر من تلك العناصر سواء أكان حكاية أو عادة معينة أو معتقداً أو قطعة من قطع الزى الشعبى.

ومنذ بداية القرن العشرين وعلم الفولكلور فى أوروبا والولايات المتحدة آخذ مكانته إلى جانب العلوم الإنسانية الأخرى. فهو يدرس فى الجامعات والمعاهد العلمية كما يدرس علم الإنسان وعلم الاجتماع وغيرهما من العلوم . وليس أدل على مدى تزايد العناية بهذا العلم من إنشاء العشرات من الجمعيات ، والمؤسسات والمجلات المتخصصة فى مجالات الفولكلور المختلفة ، ولعله تجدر الإشارة إلى أن الكونجرس الأمريكى شرع عام ١٩٧٦م فى إنشاء مركز تحت مسمى مركز الحياة الشعبية الأمريكية (American Folk Life Center) ضمن مكتبة الكونجرس الأمريكية التى تهتم بالتراث الشعبى الأمريكى بجميع أشكاله.وتشير أبحاث ودراسات عديدة إلى أهمية الفولكلور بفروعه المختلفة. حيث أشارت إلى أن الفولكلور العربى لم يدون منه إلا النزر اليسير عبر العصور التاريخية ، وبقى شفوياً فى معظمه، تداوله الناس فى بيئاتهم الشعبية وما زالوا يتداولونه كذلك، ويتوارثونه جيلاً بعد جيل ولا عجب أنه ظل حياً وحيوياً على الرغم من تقلبات الظروف والعصور.

وعلى الرغم من أن العديد من الدراسات قد تناولت الفولكلور باعتباره انعكاساً للحياة اليومية للشعوب وعاداتها وتقاليدها وثقافاتها إلى غير ذلك من الأمور إلا أنه مازالت هناك حاجة إلى بحث إمكانية الاستفادة من الفولكلور بصفة عامة فى كل المجتمعات العربية من كافة مجالاته، وبصفة خاصة الفولكلور المصرى فى مجال الأزياء الشعبية باعتباره أحد المجالات الهامة لتسجيل التراث الشعبى من

ناحية والاستفادة منه فى مجال التنمية من ناحية أخرى وبناءً عليه فإن هذه الدراسة تحاول الإجابة على مجموعة من التساؤلات:

- ما هو الفولكلور ؟
- ما هى مصادر الفولكلور المصرى الخاص بمجال الأزياء ؟
- ما هى الخطوط والأساليب الفنية المقتبسة من الأزياء عبر الحضارات على الملابس الشعبية؟
- إلى أى مدى يمكن الاستفادة من توظيف الفولكلور فى مجال التنمية وبصفة خاصة فى صناعة الأزياء الشعبية ؟

- مصطلح الفولكلور:

تطور مفهوم مصطلح الفولكلور(*) خلال القرن العشرين فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، ومعظم بلدان العالم الأخرى. وتم التعبير عنه فى صياغات مختلفة منها:-

- **الفولكلور**: جميع العقائد الشعبية القديمة والعادات والمأثورات التى استمرت متوارثة بين العناصر الأدنى ثقافة فى المجتمعات المتحضرة حتى الوقت الحاضر.

- **الفولكلور**: هو حفريات حية تأبى أن تموت.

- **الفولكلور**: استمرار توارث التقاليد الفنية من جيل إلى جيل آخر، والحرص على ابتكارات الشعب فى استخدامات مفيدة، بحيث تجمع بين الأصالة والاستمرارية وملاءمة الذوق العام.

- **الفولكلور**: هو ذلك الجانب من ثقافة الشعب الذى حفظ شعورياً أو

(*) يتألف مصطلح فولكلور : FOLKLORE من مقطعين FOLK بمعنى الناس وهى من الإنجليزية القديمة FOLC و LORE بمعنى معرفة أو حكمة ، فالفولكلور حرفياً – معارف الناس أو حكمة الشعب .

وعلى الرغم من أن (تومز) هو الذى ابتدع هذا الاصطلاح فالعلماء يرجحون أن الاصطلاح ترجمة للكلمة الألمانية فولكسكنده VOLKSKUNDE التى كانت موجودة منذ عام ١٨٦٠ أو نحو ذلك التاريخ .

لا شعورياً بالعقائد والممارسات والعادات والتقاليد والأساطير والحكايات الشعبية.

- **الفولكلور** فى اللغة العربية: هو توريث حضارات السلف للخلف كما يعين التراث على التراكم المادى والمعنوى لخبرات ناجمة عن حوار الإنسان مع محيطه وعصره، ولا يقتصر ذلك على اللغة أو الأدب أو الفكر فقط كما يعتقد بعض الناس، بل يعم ليشمل جميع الخصائص المادية والوجدانية للمجتمع من فكر وفلسفة ودين وعلم وعمران وتاريخ وفن.

- أما فى القاموس اللغوى فكلمة (تراث) مشتقة من مادة ورث، وهى تعنى ما يخلفه الميت لورثته وما ينتقل من عادات وتقاليد وفنون ونحوها من جيل إلى جيل بشقيه المعنوى والمادى.

- **الفولكلور**: هو التراث الذى انتقل من شخص إلى آخر وحفظ، إما عن طريق الذاكرة أو بالممارسة أكثر مما حفظ عن التدوين أو التسجيل ويشمل: (العادات والتقاليد - المأثورات - العقائد - الأغانى - القصص - الحكايات - الحكم والأمثال - الرقص - الموسيقى - أنماط الأبنية - الأزياء).

وكان أهم تعريفات الفولكلور الذى أقرته توصيات مؤتمر الفولكلور الذى عقد فى أرنيهم "Arnhem" بهولندا عام ١٩٩٠ هو المأثورات الروحية الشعبية، وبصفة خاصة التراث الشفوى والعلم الذى يدرس هذه المأثورات.

كما أقر مؤتمر (الفولكلور وتحديات القرن الحادى والعشرين) (*) أهم تعريفات الفولكلور الذى نظمته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة عام ٢٠٠٠ م بباريس التعريف التالي:

الفولكلور أو الثقافة التقليدية والشعبية هو (جملة أعمال إبداعية نابعة من مجتمع

(*) منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ، توصيات مؤتمر (الفولكلور وتحديات القرن الحادى والعشرين) ، باريس ، ٢٠٠٠ م .

ثقافى قائم على التقاليد ويعبر عن جماعة أو أفراد معترف بأنهم يصورون تطلعات المجتمع وتضم أشكاله فيما تضم: اللغة – الأدب – الموسيقى – الرقص – الألعاب – الأساطير – الطقوس – العادات – الحرف – العمارة – الأزياء وغير ذلك من الفنون).

– أما تعريف مصطلح الفلكلور التطبيقى فيقصد به الاستفادة من وحدات الفنون التقليدية المختلفة، ونقلها من مجالها المحدود الذى نشأت من أجله إلى مجالات علمية عديدة أخرى تخدم الإنسان فى مختلف جوانب حياته واحتياجاته. إذا يتضح من خلال هذه التعريفات لمصطلح الفولكلور أن عناصر التراث الشعبى تتلخص فى:

- العادات والتقاليد الشعبية.
- المعتقدات والمعارف الشعبية.
- الأدب الشعبى.
- التراث المادى (الفنون الشعبية).

ويعتبر العنصر الأخير هو المصدر الوحيد الذى يمكن الاستفادة منه فى مجال الأزياء على اعتبار أن التراث المادى يقوم على دراسة الجانب المادى الملموس من عناصر الثقافة الشعبية أى ما يمكن أن نراه بالعين ونلمسه باليد من مقتنيات. وبمعنى آخر تحويل المادة الخام إلى شكل محدد يخدم غرضا لدى الفرد. مثال ذلك "جلباب مطرز" (تصميم – خامة) تغلب عليه اللمسة الفنية (زخارف – تطريز) التى تلعب دوراً أساسياً فى الربط بين الشكل والمضمون.

وهذا المضمون أكدته مقتنيات الحضارات فى المتاحف التى أثرت بشكل مباشر على الأزياء لما تحمله هذه الأزياء من صفات وخصائص ومميزات من حيث التصميم والزخارف والألوان والخامات المستخدمة.

وهذا يتفق أيضاً مع ما كتبه "Paul Petrescu" والذى يرى أن الزى وما يحمله

من عناصر، يفسر لنا المكان ويعرفنا بالبلد ، وذلك لأن خصوصية الزى تعكس معها خصوصية الشكل وتميز المضمون.

نخلص مما سبق أن الفولكلور بما يحمله من تعريفات مختلفة يعكس حضارات الشعوب وعاداتها وتقاليدها ويمكن التعرف على تلك الحضارات من خلال دراسة الفولكلور لتلك الشعوب، كما أنه يمكن الاستفادة من الفولكلور فى تطوير الأزياء الشعبية التى تعكس الجوانب الحقيقية للشعوب والتى يمكن عرضها فى ثوب جديد يحمل ظلال الماضى وحداثة العصر.

مصادر الفولكلور المصرى فى مجال الأزياء

(١) الأزياء وزخارفها فى العصر الفرعوني

قبل أن نتناول الحديث عن الأزياء المصرية عبر الحضارات المختلفة نود أن نوضح مفهومنا للأزياء التقليدية لا نعنى بها الأزياء الشعبية التى يرتديها الطبقات الأدنى، بل الأزياء التقليدية هى تلك التى يرتديها عامة الشعب و التى أخذت نمطا تقليديا واحدا ومستمرا وواضحا عبر الأجيال فعلى سبيل المثال (النقبة والكول) ارتداها (فرعون) مصر و(فلاح) مصر أى أصبح هذا الزى عادة اجتماعية لدى المجتمع الفرعونى القديم قارن بين اللوحات أرقام (١،٢).

وقد أشار "Sapir" فى كتاب "قاموس مصطلحات الأثنولوجيا والفولكلور" العادة الاجتماعية فى الأزياء نوعان عادات اجتماعية ذات الأمد الطويل وعادات اجتماعية ذات الأمد القصير والتى تعرف عادة بإسم موضات. وتبدأ الموضة عادة بواسطة فرد معين أو جماعة معينة من الأفراد. وفى حالة ما إذا استمرت هذه الموضات فترة كافية بحيث من غير المهم استرجاع أصل هذا النمط السلوكى أو مكانه الأصلى فإنها تصبح عادات اجتماعية".

وهذا يؤكده "Weiss" فى نفس المرجع بأن العادة "Brauch" تساوى الموضة: أى عبارة عن سلوك ذى ارتباط جماعى ويلاحظ أن الموضة تفتقر إلى التراث على خلاف العادة الاجتماعية. وسوف تؤكد الدراسة التالية صحة التعريفات.

أ - الأزياء فى العصر الفرعونى.

تميزت البيئة المصرية بمميزات طبيعية خاصة بها ، فنهر النيل شق بواديه أرضا صحراوية تحيط بها التلال المختلفة الارتفاع فى الشرق والغرب، هذا بجانب السماء الصافية والشمس الساطعة على مدار العام. وهذه العوامل كان لها تأثيرها المباشر على نوعيات الأقمشة التى استخدمت فى عمل الملابس فقد كانت ملابسهم تصنع من الأقمشة الخفيفة التى تتفق وحالة الجو، فعرف المصرى القديم الأقمشة الكتانية الرقيقـة.

وتعتبر النقبة الزى الأساسى لجميع الطبقات رجالا ونساءً على السواء وهو عبارة عن ثوب بسيط يلتصق بالجسد ويبدأ من تحت الصدر مباشرة ويصل إلى العقبين أو إلى القدمين ويثبت فى أعلاه شريط من القماش يشبه حمالات القميص.

وهذه النقبة تلبس من أسفل وترفع إلى أعلى وفى بعض الأحيان تثبت الحمالات فى النقبة وأحيانا كان الرداء من الضيق بحيث لا يحتاج لهذه الحمالات، وهذا الضيق يظهر تفاصيل الجسم كما لو كان الرداء شفاف فى حين أنه مصنوع من الكتان السميك، وتصنع عادة النقبة من الكتان الأبيض وأحيانًا تأخذ لونًا أحمر أو أصفر. وكان يصحب هذه النقبة كول مستدير حول الصدر مطعم بالزخارف والفصوص. وظلت النقبة مستخدمة فى الملابس كما ارتدوا أيضا جلبابا بأكمام وبدون أكمام، يصل طوله إلى العقبين. اللوحات أرقام (١، ٢) والشكل رقم (١).

كما أنه فى الدولة الحديثة أضيفت إلى الأنواع السابقة الثوب أو السارى ذو الكشكشة والكسرات والثنيات (البليسية) نتيجة لاستخدام الأقمشة الشفافة والخفيفة. الشكل رقم (٣).

ب - الزخارف والرموز الفرعونية فى الأزياء:

لم يكن هدف المصرى القديم هو زخرفة حاجياته بالنقش عليها فقط بل كانت هناك معتقدات وراء الكثير من رسومه منها اعتقاده بأنها سوف تساعده فى صيد الحيوان ، كما تساعده فى اتقاء أخطار بيئته. أو أن هناك قوة سحرية يمكن أن

تساعدهم فى اقتناص الصيد بعد أن يؤدوا طقوسهم الدينية وتراتيلهم السحرية. وقد اتسمت زخارفهم بالتجريد للواقع المحيط بهم ، وهذا التجريد يمثل صورة فولكلورية لحياة المصرى القديم فى ذلك الوقت.

وقد أوضح الفنان المصرى القديم فى العصور الأولى (٦٠٠٠– ٥٠٠٠ ق. م) رسم الطبيعة بنباتها وطيورها وأسماكها، وموضوعات صيد الطيور والحيوانات بخطوط أقرب إلى رسوم الأطفال . وعندما بدأ العصر الحجرى الحديث (٥٠٠٠ – ٤٠٠٠ ق.م) واكتشف الزراعة، وبدأ الإنسان يشعر بالاستقرار النسبى عندما زرع الأرض واستأنس الحيوان، حلت الرموز محل التمثيل المطابق للطبيعة للدلالة على الموضوع المعبر عنه، وأصبح الفن محاولة لبلوغ فكرة الأشياء وجوهرها الباطن بدلاً من ممارسة التجربة الحسية وحدها. وبذلك حلت الطقوس الدينية، محل الطقوس السحرية لتظهر التمائم والرموز المقدسة وليعتمد على الفكرة الدينية وتجسيدها فى رموز وزخارف منوعة.

وفى عصور فجر التاريخ وبداية الأسرات (٤٠٠٠ ق.م) تضمن الإنتاج الفنى المصرى القديم كل معتقداته حيث جسد تلك المعتقدات فى معظم الأشكال التى أبدعها وكذا أبدع رموزا متعددة وعاش خلال عقيدته المتجسدة فى الأسطورة الدينية، وما تشتمل عليه من آلهة رمز إليها بأشكال الطبيعة فعبد التمساح والثور والبقرة والشمس والقطة واعتبرها رمزا للقوة العليا.

وفى عصور الأسرات ازدهرت الزخارف النباتية المأخوذة من البيئة كزهرة اللوتس – ونبات البردي، النخلة (سعف النخيل) والبوص، وقد استخدمها فى زخرفة جميع فنونه التشكيلية. وعلى الرغم أنه من النادر مشاهدة الرموز والزخارف على الأزياء الفرعونية إلا أنها اشتقت منها رموز العصور اللاحقة مع بعض الإضافات التى فرضتها الظروف البيئية والعقائدية الجديدة عليها. اللوحات أرقام (٦،٧،٨).

(٢) الأزياء وزخارفها فى العصرين اليونانى والرومانى

أ - الأزياء فى العصر اليوناني

بانتهاء العصر الفرعونى وتشبع البلاد بالحضارة اليونانية ، اتخذت الأزياء مقاييس جمالية أخرى مختلفة عن العصر السابق.

فقد أشار "Pearson" حب النساء اليونانيات لارتداء الموضة التى تتمثل فى الأردية المنسدلة إلى الأرض فى ثنيات كثيرة وسخية وفوقها عباءة تنسدل أيضا على الجسم حتى القدمين والتى عرفت "بالهيماتيون" والتى كانت تلف بإحكام حول الجسم تحت الكتف الأيسر. اللوحة رقم (٤).

كما برع اليونانيون فى تشكيل القماش حول أجسامهم ، حيث يعتبر التشكيل بالنسبة لهم أسلوب لارتداء الملابس يظهر براعة الفرد وقدرته على تحويل القماش الذى يتكون منه الرداء إلى قطعة فنية. فكانت الثنيات والطيات الرشيقة الناتجة عن التشكيل " Draping " هى الزينة الأساسية فى الرداء اليونانى.

ومع تزامن الحضارتين المصرية واليونانية وتعاقبهما أثرا على الأزياء، فمنذ أقدم الحقب كان هناك علاقة بين اليونانيين والمصريين، إذ كشفت الحفائر عن آثار مصرية تؤكد باليقين القاطع وجود علاقات بين مصر واليونان منذ عصر ما قبل الأسرات . وقد كان لهذه العلاقات والتداخل أثر واضح على بعض أنواع الأزياء إذ أن طابع الثياب المصرية بدأ يتغير تدريجياً فى العصر اليونانى إذ استغنى عن الأصماغ التى تثبت الكسر وتكسب الثياب مظهراً صلبا وارتدوا الملابس ذات الليونة والنعومة.

ب - الأزياء فى العصر الروماني:

لم يكن من السهل تمييز الملابس الرومانية عن الملابس الإغريقية لوجودهما معاً فى نفس الفترة ما عدا الرداء المعروف باسم "التوجا" ، فقد امتزجت خطوط تصميم الزى الرومانى مع الزى الإغريقى اليونانى وخرجت بأسلوب حضارى

واضح المعالم . فقد ابتدعوا الرداء الخارجى المسمى "التوجا" وأخذ على أيديهم أشكالا مختلفة وهو الزى الرومانى المميز لديهم.

كما ارتدوا أيضا رداء خارجى يطلق عليه "البالا" أخذ أشكالاً متعددة تبعًا لطريقة ارتداءها وحجمها، تشبه العباءة وارتدوها عند خروجهم من المنزل، مستطيلة الشكل وفى بعض الأحيان مربعة، صنعت من الصوف الخفيف، ملونة بألوان زاهية، وطريقة ارتدائها تشبه طريقة ارتداء "الهيماتيون" وأيضا تلقى فوق الرأس كغطاء له.

جـ - الزخارف والرموز اليونانية والرومانية فى الأزياء:

حاكى الفن الزخرفى اليونانى الطبيعة واستوعب أنواعها وتعمق فى إظهار محاسنها ، وكان لديهم البراعة والإبداع والابتكار والدقة والإتقان فى تكوين زخارفهم الطبيعية، التى كانت تستمد وحداتها وعناصرها من أوراق الشجر والأزهار ومن الكائنات الحية كالإنسان والحيوان والطيور وكذا من الأشكال الهندسية. كما أخذوا زخارفهم أيضاً من القصص والأساطير، التى تمتاز بالتعبير عن المشاعر والعواطف والانفعالات النفسية التى تظهر ملامح الإنسان. كما حاكوا وحدات اختاروها من الفنون الأجنبية، كزهرة البشنين والنخيل وأعواد البردى المأخوذة عن الزخرفة المصرية وزخرفوا أيضاً بزهرة الأنثيمون وأنواع الحيوانات المجنحة والمأخوذة عن النمط الأشورى. أما أهم ألوانهم فكان اللون الأحمر الطوبي، الأسود، الأبيض، والواقع أن المصريين كانوا أبرع من اليونانيين فى تلوين زخارفهم بينما اليونانيون امتازوا بانتقاء المواضع المناسبة لتصميم زخارفهم.

أما فى العصر الرومانى فقد كانت زخارفهم مقتبسة من البيئة ومشتقة من العناصر الهندسية ومن النبات والكائنات الحية ، واستعاروا زهرتى (الروزيت) و (الأنثيمون) من الأشوريين، وكذا استخدموا الأغصان الملفوفة الكثيرة الفروع. وقد عنوا بانسجام الألوان، فخلطوا معظمها فعلى سبيل المثال خلطوا الأحمر بالأزرق والأصفر بالأحمر، والأزرق بالأسود، والأخضر بالأزرق. اللوحتان رقمى (٩ ، ١٠).

(٣) الأزياء وزخارفها فى العصر القبطي

أ – الأزياء فى العصر القبطي:

كان لظهور الديانة المسيحية أثرًا واضحًا على أزياء الأقباط فعلى الرغم من أن الأزياء القبطية تنتمى جذورها إلى كل من العصر الفرعونى ثم الإغريقى يليها الروماني، إلا أن الأزياء القبطية اتسمت بالاحتشام الواضح وهو التأثير الذى فرضته تعاليم الديانة المسيحية.

وكان أهم ما يميز ملابس أقباط مصر القميص "Tunic " وهو عبارة عن قطعة مستطيلة الشكل من نسيج الكتان أو الصوف يبلغ طولها ضعف الطول المطلوب وحردة الرقبة دائرية أو مربعة الشكل، والأكمام فهى بارزة من نفس قطعة النسيج وقد ساد استعمال اللون القرمزى والأصفر والأحمر المائل إلى البنى والأزرق وكانت هذه القمصان تحلى بالشرائط المطرزة. اللوحة رقم (١٢).

ب - الزخارف والرموز القبطية فى الأزياء:

اهتم المصرى فى العصر القبطى بأزيائه التى زينتها الزخارف النباتية والحيوانية ، كما أضيفت بعض الصور والأساطير والتى كانت امتدادا لمعتقدات ذات أصول مصرية قديمة وأيضًا الرموز والتى كان من أهمها السمك وكان شعار المسيحيين فى بدايتها . ومن الرموز القبطية أيضاً الكروم (عناقيد العنب)، ولعله يرجع إلى قول المسيح "أنا الكرمة وأنتم الأغصان" وأيضا الزيتون والنخيل. إلى جانب النباتات المختلفة مثل الرمان، التفاح، الأزهار، الأوراق النباتية المختلفة. ومن الرموز أيضاً التنين وهو رمز الشيطان وكثيراً ما يرى شهيد يطعن تنينا رمزاً للانتصار على الشر والوثنية.

كما لعبت الرموز الحيوانية فى الفن القبطى دوراً عظيماً . فقد كان شعار الرسول لوقا (الثور) والرسول مرقص (الأسد) والرسول يوحنا (النسر). أما رمز الصليب فقد استوحى شكله من علامة (عنخ) والتى تسمى (مفتاح الحياة) لدى القدماء المصريين.

٤ - الأزياء وزخارفها فى العصر الإسلامي

أ - الأزياء فى العصر الإسلامي:

عرف عن العرب فى زمن الرسول ﷺ والخلافة الأولى أنهم قد انصرفوا عن الاهتمام بالملابس ، ولزموا جانب التقشف والبساطة. وذلك لطبيعة الإسلام فى أول دعوته من جهة، وتأثر الناس واقتدائهم بالرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين من جهة ثانية. وقد تعاقبت على مصر اثنى عشر دولة إسلامية بدأت بالدولة الأموية وانتهت بالدولة العثمانية عام ١٥١٧م، وقد حدث تباين فى الأزياء فى تلك الفترة نتيجة لتباين الاثنى عشر دولة التى حكمت مصر من حيث الثقافة والحضارة وعلى ذلك فقد تنوعت الأزياء وكثرت أشكالها ومسمياتها مثال: المرط – الأزار – السراويل – الدراعة – القفطان – الدثار – الثوب – القميص – العطاف وغيرها.

وكان من أهم تلك الملابس القميص والذى استمر أيضا خلال العصور الإسلامية ولكن قد أخذ أشكال ومسميات مختلفة.

ب - الزخارف والرموز الإسلامية فى الأزياء:

قام الفن الإسلامى على الابتكار والتنويع من الفنون المختلفة، واتجه الفنان المسلم إلى استعمال كل وسائل الزخرفة والتزيين وقد اعتمد على العناصر النباتية والهندسية والخطية وكثيرا ما زاوج بين هذه العناصر، أو جعل الزخارف النباتية أرضية للنصوص الخطية أو حشوات بين ثنايا الزخارف الهندسية التى تتمثل فى الأشكال الهندسية البسيطة كالمثلث والمربع وأشكال المعين والخماسى والسداسى وغيرها.

أما الزخارف النباتية فكانت عبارة عن نباتات مجردة سميت (بالتعشيق العربي) أو(الأرابيسك) وقوامة الخطوط المنحنية أو المستديرة أو ملتفة يتصل بعضها ببعض.

أما الزخارف الخطية فقد ساعدته طبيعة الكتابة العربية على اتخاذها عنصرا من العناصر الزخرفية كالخط الكوفى والخط النسخى والخط الرقعة وغيره . أما بالنسبة إلى الكائنات الحية فقد استعمل المسلمون فى زخارفهم شكل الأسد والفهد والغزال والأرانب والطيور وربما رسموها مع فروع نباتية. انظر إلى اللوحتين رقمى (١٥، ١٦).

وقد تميزت هذه الزخارف بالميل إلى التجريد من الأشكال الطبيعية وخاصة العناصر النباتية والهندسية التى ليست لها بداية أو نهاية وهى فى مضمونها فلسفة تعبر عن الاستمرار الأزلى للحياة. وأن معظم الزخارف الإسلامية وضعت فى دوائر أو أشرطة أو فى مناطق هندسية مختلفة الأشكال بحيث أننا نميز أى قطعة ملبسية أو قطعة زخرفية إسلامية أنتجت فى ظل الحضارة الإسلامية ، ولعل هذا من أسرار التفوق فى الحضارة الإسلامية وقدرتها الفائقة على صبغ المنتجات الفنية فى جميع الأقطار بصبغة واحدة .

(٥) الأزياء الشعبية وزخارفها

لم تتأثر الأزياء المصرية فى بادئ الأمر عندما دخلت الحملة الفرنسية مصر على المدى القصير، وذلك لقصر الفترة التى عاشتها الحملة فى مصر، ولكن على المدى الطويل فإن الحملة هزت المفاهيم الفكرية والاجتماعية والتى كان يخضع المجتمع المصرى لها، وأوضحت للمصريين مدى التخلف الذى كانوا فيه تحت ظل الحكم العثماني، وأنه لابد من التعرف على العلوم الحديثة وأقنعت الصفوة المثقفة بضرورة التغيير، وجاء مؤسس مصر الحديثة "محمد علي" ليستفيد من هذا الإعداد النفسى للتغيير ويبنى مصر الحديثة.

ومع ولاية "محمد علي" شهدت مصر انقلابا اقتصادياً وصناعياً خاصة فى مجال الغزل والنسيج واستخدم أنواع جديدة من الأقمشة وتغير فى الألوان وعرفت الألوان الهادئة مثل الأزرق والكستنائى والأبيض بدلا من الألوان الصارخة كالأحمر والوردى والبنفسجى وظلت المرأة محافظة على عاداتها فى تخصيص ملابس

الخروج لتغطى كل الجسم إذ أن التقاليد حتمت الاحتشام على جميع النساء وإن اختلفت دياناتهم. وقد تأثرت الأزياء المصرية بالذوق الغربى واختفى الزى التقليدى وأصبح لبس القفاطين مقصورا على طبقة علماء الأزهر والمشايخ، كما تأثرت ملابس النساء أيضًا ولكن ببطء، حتى ظهر ذلك واضحا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فاختفى الطابع القومى تدريجياً من ملابس السيدات، فلم يبقى منها مع بداية القرن العشرين سوى الحبرة أو الإزار. وهذا بدوره أخذ يتطور حتى اختفى من ثياب الطبقة الميسورة ولم يعد يلبسه إلا قليل من القرويات والنساء فى الأماكن الشعبية أو بعض السيدات المسنات. وتعد الأزياء الشعبية بتصميمها وزخرفتها وألوانها وأسلوب تنفيذها شكلا من أشكال الفن الشعبى. وبرغم قلتها تعتبر سجلاً حيا لتراثنا له سمات متميزة عن غيره من الأزياء الأخرى ويرتبط ارتباطا حميما بالقيم الاجتماعية والدينية والجمالية والاقتصادية والنفسية والعوامل الجغرافية والتاريخية، وهذا كله أثر على نمط الأزياء فى كل محافظة عن الأخرى. ومن السمات العامة للأزياء الشعبية فى جميع محافظات مصر نجد أن الاحتشام واتساع الزى ولونه يعتبر سمة واضحة فى جميع الأزياء الشعبية. قارن بين اللوحات أرقام (١٧، ١٨، ١٩).

أما بالنسبة للزخارف الشعبية فمصادرها من صميم الحياة الاجتماعية مثل الرسوم الجدارية التى تزخرف بها المنازل الشعبية أثناء عودة الحاج ورسم الوشم على الأيدى والأذرع والصدور، مناظر الموالد، وعرائس المولد المتعددة الألوان والأشكال، زخارف الفوانيس، الحلى الشعبى المتنوعة النقش على معظم أدواتنا التشكيلية (من الفضة والنحاس والمعادن الأخرى) الرسم على الجلد، الحفر على الخشب، وتطعيمه بزخارف من العاج والأبانوس والعظم وتطعيم القطع الخشبية بالصدف، وزخارف صناديق العرائس فى الريف، الزخارف الفخارية زخرفة الملابس بالخيوط والخرز والشرائط، والأساليب الأخرى المتنوعة.

وقد اختلفت الزخارف التى تطرز على الملابس الشعبية باختلاف البيئات والمناطق وباختلاف الجنس والعمر والمناسبات المختلفة، وهذه الاختلافات فى

بعض الأحيان لها دلالات اعتقادية أو رمزية متنوعة، فمنها يتصل بأغراض شعائرية أو سحرية أو علاجية مختلفة ويلعب التشاؤم والتفاؤل ومنع الحسد وأغراض الشفاء دورا كبيرا بالنسبة لها، كما أن هنالك ألوان مفضلة وألوان غير مستحبة وهذه تختلف باختلاف البيئات، وتختلف باختلاف الجنس والسن. وأحيانا يرتبط اللون بمناسبات خاصة مثل ارتباط اللون الأسود بالحداد والموت واللون الأبيض ببعض الشعائر الدينية كالحج، أو بعض الطقوس "كالزار"، أو ترتبط بطائفة دينية أو تكون شارة مميزة كاللون الأخضر الذى يميز عمامة الأشراف.

وبينما تتشاءم المرأة المصرية الشعبية من اللون الأزرق والأسود نجد أن نساء البدو فى سيناء يملن إلى اللون الأزرق الداكن، كما أن ثوب الزفاف فى واحة سيوه يكون أسود اللون، أو أبيض فى حين أن اللون المفضل فى ثياب الزفاف فى النوبة وفى كثير من قرى الصعيد هو اللون الأحمر، وهو ثوب عادة يكون من الحرير، أما غطاء الرأس فى الزفاف فهو فى بعض قرى الريف عبارة عن شال ملون باللون الأحمر أيضا، بينما تفضل العرائس النوبيات الطرحة البيضاء على رأسها.